فقال الله تعالى وان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة اي خصب الثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله
يعني من قبل الله وان تصبهم سيئة اي جدب في الثمار وغلا في السعر يقولوا هذه من عندك يعني من شوم محمد واصحابه وقيل
المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى من عندك انت الذي حملتنا
عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبار عن المنافقين خاصة قل اي قل لهم يا محمد كل من عند الله يعني الحسنة
والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة فابتلاء من الله
فما لهؤلاء القوم اي فما شان هؤلاء المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا لا يكادون يفقهون حديثا يعني لا يفقهون معاني
القران وان الاشيا كلها من الله عز وجل خيرها وشرها قوله تعالى ما اصابك من حسنة يعني من خير ونعمة فمن الله يعني من
فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك وما اصابك من سيئة يعني من شدة ومكروه ومشقة واذى فمن نفسك يعني
فمن قبل نفسك بذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفي المخاطب بهذا الكلام قولان احدهما انه عام والتقدير
وما اصابك ايها الانسان والثاني انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبي صلى الله عليه وسلم
بري لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد عصمه من حين انبعث فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت
ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النسا خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم
النسا فعلى قوله فمن نفسك اي عقوبة لذنبك يا ابن ادم كذا قال قتادة وقال الكلبي ما اصابك من خير فالله هداك له
واعانك عليه وما اصابك من امر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الاية القدرية وقالوا
نفى الله السية عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سية فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد
من الاية حسنة الكسب من الطاعات ولا السية المكتسبة من المعاصي بل المراد من الحسنة والسية في هذه الاية
ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال في الطاعة والمعصية اصابني
وانما يقال اصبتها ويقال في النعم والمحن اصابني بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا
جاتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سية يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسياته وعد
عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها ومن جا بالسية فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا
قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الاية على معنى ما يقول اهل القدر لقال ما اصبت من حسنة وما اصبت
من سية ولم يقل ما اصابك لان العادة جرت بقول الانسان اصابني خير او مكروه واصبت حسنة او سية
وقيل في معنى الاية ما اصابك من حسنة اي النصر والظفر يوم بدر فمن الله اي من فضل الله وما اصابك من سية
اي من قتل وهزيمة فمن نفسك يعني فبذنوب اصحابك وهو مخالفتهم اياك **فان قلت**
كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك من سية فمن نفسك فاضاف السية الى فعل
العبد في هذه الاية **قلت** اما اضافة الاشيا كلها الى الله فهو قوله قل كل من عند الله فعلى
الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة السية الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك
من سية فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل اضافة السية الى العبد على سبيل الادب ولا يشك عاقل
ان الممرض هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيها اضمار وتقديم وتاخير تقديره فما لهؤلا القوم
لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سية فمن نفسك قل كل
من عند الله وقال ابن الانباري في معنى الاية ما اصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سية فالفعلان
راجعان الى الله تعالى قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا يعني فما ارسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا
لتبلغهم رسالاتي وما ارسلناك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قاله بعض اليهود بل انت رسول

الى

الى الخلق كافة العرب والعجم وغيرهم وكفى بالله شهيدا يعني على ارسالك للناس كافة فما ينبغي لاحد ان يخرج عن
طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما ارسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا
على ان الحسنة والسية من الله قوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى بن مريم فانزل الله هذه الاية من يطع الرسول يعني فيما امر ونهى عنه فقد اطاع الله يعني لان
طاعة الرسول طاعة الله تعالى لانه هو امر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته
وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي ان كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف ناتيها ولا كان يمكننا اداء شي من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم
بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله ومن تولى اي اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا يعني
حافظا تحفظ اعمالهم عليهم قل كل امرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل ان يومر بالقتال ثم نسخ ذلك باية القتال
قوله تعالى ويقولون طاعة نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم امنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اي امرنا وشاننا طاعة فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من عندك بيت
طايفة منهم غير الذي تقول التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر بيت اذا دبر بليل وقضي بليل فقد بيت والمعنى
انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذي اعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طايفة منهم غير الذي تقول
يعني غير الذي عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طايفة من المنافقين بالتبييت في
قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر
على النفاق بالذكر وقيل ان طايفة منهم اجتمعوا بالليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر والله يكتب اي يثبت
ويحفظ عليهم ما يبيتون يعني ما يزورون ويغيرون ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق
فاعرض عنهم اي لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وحلمهم وصلاتهم فانا منتقم منهم وقيل لا تغتر
باسلامهم وتوكل على الله اي فوض امرك اليه في شانهم فان الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم وكفى بالله وكيلا
يعني ناصرا لك عليهم قوله عز وجل افلا يتدبرون القران اصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في ادبارها ثم
استعمل في كل تفكر وتامل يقال تدبرت الشي اي نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القران تامل معانيه والتفكر في
حكمه وتبصر ما فيه من الايات قال ابن عباس افلا يتدبرون القران فيتفكرون فيه فيرون تصديق
بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهي وان احدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلما ان الله تعالى
احتج بالقران والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من ثلاثة اوجه احدها فصاحته
التي عجز الخلايق عن الاتيان بمثله في اسلوبه الثاني اخباره عن الغيوب وما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم على احوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن
احوال الاولين واخبارهم وما ياتي في المستقبل من امور الغيبة التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته
من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
قال ابن عباس يعني تفاوتا وتناقضا وفي رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل
معناه لوجدوا في اخباره عن الغيب بما كان وبما يكون اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى وما كان
كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)